

في التحليل التداولي للخطاب
(الأدبي، السياسي، الديني)

In the pragmatic analysis of discourse
(literary, political, religious)

مناصري وفاء

المركز الجامعي نور بشير (البيض)

wafa1985.menasri@gmail.com

تمون وجدان فريال*

المركز الجامعي نور بشير (البيض)

ferielwedjdane46@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/02/21

تاريخ الاستلام: 2023/03/08

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى بيان الأدوات الإجرائية المعتمدة في التحليل التداولي للخطابات المختلفة، وذلك من خلال عرض نموذج تحليلي لكل من الخطاب الأدبي والخطاب السياسي والخطاب الديني، من خلال التعريف بهذه الأدوات الإجرائية ثم بيان تلك المعتمد منها في تحليل هذا النوع من الخطابات كمثال توضيحي يبرز التباين الحاصل في تحديد الأدوات الإجرائية التداولية المعتمدة في تحليل خطابات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: أدوات إجرائية، تداولية، تحليل الخطاب، أفعال الكلام، الحجاج.

Abstract:

This article aims to clarify the procedural tools adopted in the deliberative analysis of different discourses, by presenting an analytical model for each of the literary discourse, political discourse, and religious discourse, by defining these procedural tools and then clarifying those adopted in the analysis of this type of discourse as an illustrative example that highlights the contrast The outcome in determining the deliberative procedural tools adopted in the analysis of different discourses.

key words: Procedural tools, pragmatics, discourse analysis, speech acts, pilgrims.

1. مقدمة:

تعد التداولية إحدى أهم المناهج اللغوية الحديثة التي أعطت مسارات جديدة للسانيات، ذلك أنها تداركت الكثير من نقائصها وتنطلق من أن الوقوف عند حدود بنية اللغة يجعل المتكلم لا يمكنه فهم وإنتاج اللغة في غياب سياقها وبذلك فالتداولية في أبسط مفاهيمها هي دراسة اللغة في الاستعمال. والتداولية كغيرها من المناهج تستند على مجموعة من الأدوات الإجرائية في تحليلها للخطابات، وتختلف هذه الأدوات باختلاف أنواع الخطابات المدروسة وفق اعتبارات عدة تستدعي عنصراً دون الآخر.

إشكالية البحث:

ما هي الأدوات الإجرائية التداولية المعتمدة في تحليل الخطابات؟ وهل تتطابق هذه الأدوات من حيث الكم والنوع في الخطابات على اختلافها؟ معلى أي أساس يتم انتقاؤها؟

أهداف البحث:

هذا ما سنحاول تحديده التعرف على الأدوات الإجرائية للمنهج التداولي، وعرض بعض النماذج التطبيقية والمقارنة بينها والتعرض لـ واستخلاص عوامل الانتقاء في المقاربات التداولية.

منهجية البحث:

يرتكز هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي والذي نسعى بناءً عليه إلى وصف وتحليل هذه الآليات مستعرضين نماذج من التحليل، كما لم يخلوا من المنهج المقارن، كمحاولة لتحديد أدوات التحليل التداولي.

2. تعريف التداولية:

لما كان موضوعنا يتناول قضية التحليل التداولي للخطابات بمختلف أدواته وإجراءاته التطبيقية، كان من الأنسب التطرق للتداولية مفهومًا ومنهجًا، والبحث في مفاهيمها الإجرائية الأساسية كالفعل الكلامي والاستلزام الحوارية والسياق والقصدية والمقام ومتضمنات القول، الحجاج وغيرها من المفاهيم التداولية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتحليل التداولي. فالتداولية من حيث علاقتها بالخطاب ومستعمليه هي موضوعة الخطابات وتحليلها إلى أفعال وأقوال استناداً على السياقات التي تنتج فيه والتي تؤدي إلى حدوثه، موضع التشرية الاستعمالي اللغوي والتطرق للعوامل الاجتماعية والثقافية التي تحكم الخطابات.

وقد بدأت التداولية مع فلسفة اللغة خاصة من خلال "المناقشات التي جرت بين جون أوستين" (G.austine) سنة 1950م في جامعة هارفارد، إضافة إلى محاضرات بول كرايس (P.Grice) سنة 1967م¹، فاكشف الأبعاد التداولية للغة فتح منافذ أرحب وأنتج تساؤلات وتصورات علمية حول دور اللغة وطبيعتها أغراضها الاستعمالية، مما جعلها مطلباً إجرائياً تتبناه العديد من المذاهب والمناهج اللسانية الحديثة. وينسب أول استعمال لمصطلح التداولية لـ "شارل موريس" (Charles morris) وذلك سنة 1938م، أما عند العرب فكان أول من استعمل المصطلح هو "طه عبد الرحمان" سنة 1970م.

يقول "شارل موريس" (Charles morris) في كتابه "إن التداولية هي جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"، وهي دراسة استعمال اللغة في الخطاب والسياق وأثرها في إنتاج الدلالة.

وقد عرّفها "فان دايك" "V.Dyke" بقوله: "تختص البراغمية بوصفها علما بتحليل الأفعال الكلامية، ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال بوجه عام"² أي بتقسيم الخطاب إلى أفعال كلامية بحثا عن خصائصها ومدلولاتها وما تؤديه من وظائف.

كما أنها علم يبحث في العلاقات المتبادلة بين العلامات ومستخدميها، ويقول "جميل حمداوي" في هذا الصدد: "نجد أن المقاربة التداولية هي دراسة العلامات في علاقة مع مستخدميها ومن ثم، تركز اللغة على ثلاثة مكونات ضرورية ومتكاملة حسب "شارل موريس" هي: التركيب والدلالة والوظيفة... ومن هنا نجد أنها تدرس الإشارات والمقصدية، وأفعال الكلام، والوظيفة والسياق والإحالة المرجعية، والحجاج اللغوي والإقناع، والحوارية"³.

عرفها إيلوارد (Eluerd) بأنها: "إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات، تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية، في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي، وهي:

- المتكلمون (المتكلم والمخاطب)

- السياق (الحال/المقام)

- الاستعمالات العادية للكلام، أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع"⁴.

وقد تعددت مفاهيم التداولية بتعدد الدارسين إلا أنها تجمع على أن التداولية تيار لساني يدرس اللغة في الاستعمال، أي معالجتها من خلال أدائها لوظيفتها التواصلية، كما يتفقون على أن موضوعها هو التجسيد الفعلي للغة، أي أن موضوعها هو: الكلام، إضافة إلى مقاصد المتكلم وربط اللغة بالسياق الذي استعملت فيه.

ويقوم التحليل التداولي على مجموعة من الأدوات الإجرائية المختلفة، والتي ينتقي منها المحلل التداولي ما يناسب وفق ما يقتضيه الخطاب المدروس من نقاط وجب الوقوف عندها دراسة وتحليلا، فتحليل الخطابات بالمنهج التداولي يستدعي تحديد بنوع الخطاب المراد تحليله، ومنه تحدد الأدوات الإجرائية للمقاربة.

3. أدوات التداولية في تحليل الخطابات:

1.3. الفعل الكلامي:

وهي أساس النظرية التداولية وأهم إجراءاتها، جاء بها "جون أوستن" (G.austine)، ميز فيها بين نوعين من الأقوال، منها ما يصف حالا معيناً وهي الأقوال التقريرية، ومنها ما يحقق التلفظ بها أفعالا في الواقع وهي الأقوال الإنشائية، فالأفعال الكلامية تحدد استنادا إلى مرجعيات ومنطلقات عدّة وفق ما ينطلق منه الدارسون، إلا أنهم يتفقون على أن: "تكلم لغة ما أو التحدث بها، يعني تحقيق أفعال كلامية"⁵.

وللفعل الكلامي خصائص نذكر منها:

أ. **فعل القول:** ويسمى كذلك بالفعل اللغوي، وهو إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء سليم ودلالة (فعل دال).

ب. **الفعل الإنجازي:** وهو الفعل المتضمن في القول، وهو ما تقوم عليه النظرية.

ج. **الفعل التأثيري:** وهو الأثر المتضمن في القول والذي ينشئه الفعل في الفكر والمشاعر⁶.

2.3. السياق: أي أن يكون الخطاب مفيدا في سياق معين يؤدي قصدا معينا، وفي الحديث عن الأهمية البالغة للسياق يقول أحمد نخلة، "التداولية هي دراسة جوانب السياق التي تشفر شكليا في تراكيب اللغة وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل"⁷، وينقسم السياق إلى: السياق المقامي، وهي الظروف التي تحف إنتاج الخطاب، والسياق المحلي، وهو المتعلق بسوابق الألفاظ ولواحقها.

3.3. المقام: وهي العوامل الدافعة لنشوء الخطاب، وهو "... مفهوم يمكن تضييقه كما يمكن توسيعه، فحدوده الدنيا، هي تصور متخاطبين في زمان ومكان معينين، وهذه الحدود الدنيا يمكن أن نعبر عنها لغويا على نحو صريح كما يمكن ألا نعبر عنها..."⁸ والحدود الدنيا هي: "... حدود علم الدلالة، أما الحدود القصوى التي لا يمكن للتداولية اللسانية أن تتخطاها فهي اللسانيات الاجتماعية وربما النفسية..."⁹، ومنه فالتداولية تقف على هذه الحدود وغيرها من الحثيات التي تساهم في حدوث التخاطب.

4.3. القصدية: وتعني أن النص ليس بنية عشوائية وإنما هو عمل مخطط له غاية يطمح إلى بلوغها، و تعد القصدية "من أبرز المفاهيم التداولية المعاصرة، التي تهتم بقصد المتكلم في الخطاب والاستعمال، إذ أن الغرض أو القصد .. هو الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه"¹⁰

5.3. متضمنات القول: تهتم التداولية بالكلام الذي لا يظهر على سطح الملفوظ، ذلك أن الملفوظ الواحد يحمل أكثر من معنى، وأن السياق هو الكفيل بتحديد المقاصد داخل الملفوظ.

6.3. الحجاج: إن الوظيفة التخاطب لا تقتصر على غرض التواصل فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى السعي وراء إقناع الآخر بفكرة ما أو عدة أفكار، فيلجأ فيه المخاطب إلى الاستدلال بحجج وبراهين وأدلة تدعم طرحه، وذلك ما يندرج ضمن ما يسمى بالحجاج، وهو ما تركز عليه التداولية نظرا لأهميته الكبيرة في الكشف عن آليات تأثير الخطاب في المتلقي، "... فالخطاب الحجاجي في جانبه التداولي، هو خطاب محاوية يتم بين متكلم يقوم بدور المدعي، ومخاطب يقوم بدور المعارض، ..."¹¹.

7.3. الاستلزام الحواري: ويقوم على فكرة أن أغلب جمل اللغة تدل على معان صريحة وأخرى ضمنية، من خلال ما يقال وما يقصد، فالتداولية تهتم بالنظر إلى ما وراء الخطاب أو اللفظ، لمعرفة ما يستلزمه الخطاب من معنى ضمني غير المعنى الأول الظاهر.

4. نماذج إجرائية للتحليل التداولي لمختلف الخطابات:

تعدد الأدوات الإجرائية للمنهج التداولي وتتفاوت بحسب نوع الخطاب المراد تحليله، فالخطاب السياسي يختلف عن الخطاب الديني والخطاب الأدبي يختلف عن الخطاب الأدبي، فإن كان الأول يمتاز بوفرة الكلام الضمني والثاني يستدعي الإقناع والحجاج والاستدلال، فإن الثالث يطغى عليه الجانب التأثيري الإنجازي، وإن وجدت بشكل متبادل بين جميع الخطابات إلا أنها تتفاوت باختلافها وموضوعاتها وسياقات تداولها. وعليه سنتعرف على نماذج من التحليل التداولي لكل من الخطاب الأدبي والخطاب السياسي والديني.

إن ما استخلص من إجراءات تطبيقية للمنهج التداولي جعله آلية من أهم آليات تحليل الخطاب المعاصرة والتي لا يحسن تجاوزها أو تغافلها ، وذلك لما له أهمية كبيرة وما قدمه من نتائج باهرة في تحديد مقاصد الكلام، ومن هنا فهذه

المقال يسعى إلى إلقاء الضوء على بعض النماذج التي قدمتها كإجراء تطبيقي من إجراءات تحليل الخطاب، وهو ما سنتعرف عليه فيما سيأتي.

1.3. الأدوات الإجرائية في التحليل التداولي للخطاب الأدبي:

نورد في هذا العنصر نماذج تتجلى في مقاطع من خطابات أدبية مختلفة (شعر، نثر، رواية... إلخ)، محاولين إخضاعها للتحليل التداولي. اعتماداً على إتباع الطريقة التي سار عليها "محمد حسن إسماعيل الحسن"¹² في تحليله للخطاب الأدبي. اعتنت التداولية بتحليل الخطاب التداولي من جوانب متعددة، وذلك وفق مبادئ وهي:

1.1.3. الفعل الكلامي في الخطاب الأدبي:

أ. الأفعال الإنجازية المباشرة:

كفعل القول الذي يمثل نطق الكلمات والأصوات وفق قواعد اللغة، والإحالة والإسناد، اللذان يشكلان الفعل الدلالي عند "أوستين" (G.austine)، ونورد ذلك من خلال البيت التالي في قول الإمام الشافعي¹³:

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة فلا خير في ودّ يجيء تكلفاً

أحال الشاعر فيه على العنصر المحال عليه "صفو الوداد" بالضمير "هو" في قوله "يكن"، كما أشار على "الودّ" بالضمير "هو" في قوله "يجيء"، فالإحالات الواردة في البيت الشعري سمحت بربط الأفعال ببعضها ببعض، فجعلت تعذر وجود الخير نتيجة لاصطناع الود وزيف صفاءه، والتكلف في إعطائه سبباً كافياً لردّه. وقد تجلّى الفعل الإسنادي متمثلاً في إسناد وجود الخير لصفاء الود، وإسناد انعدامه للتكلف الناتج عن الإكراه في عطاء هذا الود، وهنا يحمل المخاطب على ترك كل ود بني على تكلف واصطناع.

ب. الأفعال الإنجازية غير المباشرة:

وهي الأفعال التي يتضمنها الملفوظ دون تصريح، ويرى "سيرل" (Searle) أن المتكلم يستطيع إبلاغ المخاطب أكثر مما تبلغه الكلمات، وذلك لما يوجد بينهما -المخاطب والمخاطب- من معلومات وتجارب سابقة ومشتركة تحدد المقاصد ومستلزمات القول. سواء أكانت معلومات لغوية أم غير لغوية، كالرتبة والنبر والتنغيم، وزمنية الفعل وعلامات الترقيم وغيرها...¹⁴، زيادة عن القدرة المتمثلة في الاستدلالات التي تتيح للمخاطب تحديد مقاصد الكلام، ونورد مثلاً عن ذلك من خلال الحوار التالي من رواية "الإعصار والمئذنة" لعماد الدين خليل:¹⁵

عاصم: بالمناسبة، لقد فإن أحد زملائي القدماء عاتبني ظهر اليوم

- على أي شيء؟

قال بأنك شوهدت تصلين يوم أمس وراء هاشم عبد السلام...

- تساءلت بانفعال: من هو هذا الزميل؟

- لا يهمنا ذكر الأسماء إنما أردت..

- قاطعته: كيف، لا بد أن يكون منهم..

- منهم؟..

فقوله "لا بد أن يكون منهم" دليل على استدلاله كمتلقٍ على مرجعيات معرفية حدد بها مقاصد الكلام.

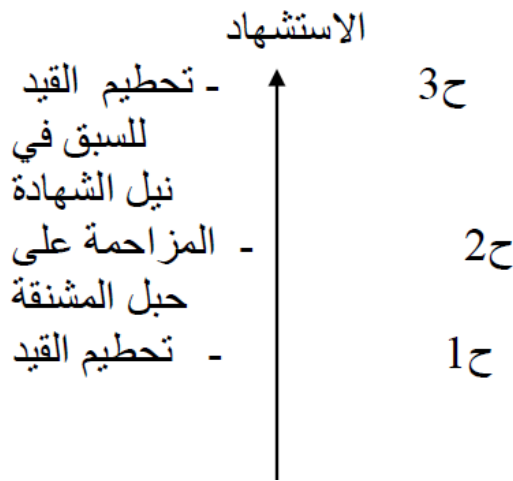
2.1.3. الحجاج في الخطاب الأدبي:

لا يكاد يخلو أي خطاب من آليات الحجاج، ذلك أنه مؤسس على بنية الأقوال اللغوية، وعلى تسلسلها واشتغالها داخل الخطاب، ونمثل لذلك بقول الشاعر طوقان¹⁶:

بطلِي يحطم قيدهُ * رمزا لتحطيم القيود

زاحمت من قبلي لأستقبلها إلى شرف الخلود

أورد الشاعر حججا من خلال أبياته هذه، وذلك في أنه قام بتحطيم قيوده للدلالة على التحدي والمقاومة والقوة، وذلك بحجة دلالية تتمثل في سعيه نحو نتيجة وهي "التنافس على الجهاد" وذلك من خلال مزاحمته لمن سبقه في حكم الإعدام متجّه نحو المشنقة بكل إيمان، فالبيت الشعري يتضمّن حججا مرتبة تمثل سلما حجاجيًا، كلها تبنى على نتيجة مضمرة وهي الأسبقية في الحصول على الشهادة.



فلاحظ تسلسل الحجج وترتيبها بداية بتحطيم القيد ثم مزاحمة المحكوم عليهم بحجة السبق في نيل الشهادة. فالشاعر هنا استعان بالحجج لتدعيم اعتقاده وإقناع القارئ بحتمية الجزاء وفضل الاستشهاد في سبيل الله.

1.2.3. الأدوات الإجرائية في التحليل التداولي للخطاب السياسي:

نورد في هذا العنصر نماذج تتجلى في مقاطع من خطابات سياسية مختلفة تعود لرئيس الجمهورية (عبد المجيد تبون) في مناسبات عدّة، محاولين إخضاعها للتحليل التداولي، بغية التعرف على الأدوات الإجرائية المعتمدة في تحليل هذا النوع من الخطابات، اعتمادا على إتباع الطريقة التي سارت عليها "راضية خفيف بوبكري"¹⁷ في تحليلها للخطاب السياسي.

أ. الفعل الكلامي في الخطاب السياسي:

"ونشيد بالدور الذي يؤديه المنتسبون للأسرة الجامعية في النهوض بالقطاع، فقد قدّموا جهودا وإسهامات معتبرة لخدمة الجامعة الجزائرية، تشهد عليها مكاسب هامة، منها إنجاز مدارس وطنية عليا في اختصاصات علمية دقيقة، وبعث أقطاب الامتياز الذي بدأ العمل بها فعليا، واستحداث العديد من مخابر البحث الجديدة، والرفع من مستوى الأداء البيداغوجي، وتحسين نوعية التكوين، ورفع كفاءه الخريجين"¹⁸.

الجدول (1): الفعل الكلامي للخطاب السياسي

الفعل الكلامي		
فعل القول (الفعل الدال)	الفعل الإنجازي (الفعل في القول)	الفعل التأثيري (الفعل بالقول)
شكل هذا المقطع تركيبية من الجمل الصحيحة نحوا وصرفا وصوتا، لإضافة إلى دلالاته التي تؤدي معنى ظاهرا يفهمه المتلقي بشكل مباشر، فما يفهمه المتلقي من هذا المقطع أن الدولة الجزائرية تشيد بالأعمال الجبارة التي تقوم بها الأسرة الجامعية في سبيل تحسين قطاع التعليم العالي والبحث العلمي، وما يتم ملاحظته من إنجازات ميدانية أضحت حيز التطبيق.	يتجلى الفعل الإنجازي من خلال الخطاب في شكلين، أ- التأكيد والتقرير: من خلال التأكيد على الأعمال المنجزة من قبل الأسرة الجامعية في قوله " ونشيد بالدور الذي يؤديه"، ومن خلال الاستشهاد والاستدلال بنماذج منجزة على أرض الواقع وقوله "فقد قدموا جهودا وإسهامات" ب- أفعال إنجازية غير مباشرة (ضمنية): وهي الدعوة إلى تشجيع الكفاءات الوطنية الفعالة ومنادات وطلب الإتقان والتفاني الفعلي للنهوض ببقية القطاعات من قبل المعنيين بها.	أما الأثر الذي يحدثه هذا المقطع في المتلقي بصفة عامة، فقد يكون آنيا لحظة تلقي الخطاب، (تعليقات، حركات وإشارات، تصفيق، زغاريد...)، وقد يكون بعد فترة، ويظهر من خلال تغيير يحدث على مستوى السلوك، أو الأفكار والمواقف... والتغيير والإنجاز الفعلي الملحوظ، والعمل الجاد والمتواصل من قبل جميع القطاعات الوطنية من أجل بناء جزائر الغد...، وذلك لن يكون إلا إذا أثر الخطاب في المتلقي، وغير من سلوكه وفكره، ومن ثم يحدث التغيير في الوطن ككل.

فلاحظ أن أجزاء الفعل الكلامي متداخلة.

ب. السياق والمقام في الخطاب السياسي:

أما إذا تحدثنا عن السياق والمقام فنجدهما كذلك يشيران إلى سياق مقامي وهو مناسبة اليوم الوطني للطلاب الجزائري المصادف لـ 18 ماي من سنة 2022، تحدث فيه عن الجهود المبذولة من قبل الأسرة الجامعية التي انعكست على إنتاج بشري أسفر عن ما يقارب 5 ملايين طالب جامعي خريج منذ الاستقلال.

ت. القصد في الخطاب السياسي:

يقول رئيس الجمهورية عبد المجيد تبون "والجزائر اليوم تعيش سنة الاحتفاء بالذكرى الستين (60) لاستعادة السيادة الوطنية... وما سجله لها التاريخ من تضحيات محفوظة في ذاكرتنا الجماعية، التي يقع على عاتقنا واجب صونها، ويتعين علينا السهر على حمايتها من مكر أولئك الذين مازالوا يجزّون ورائهم منذ عقود حقدهم على انتصار الجزائر المستقلة السيدة...¹⁹ ومن خلاله يمكننا تحديد نوعين من المقاصد، وهي المقاصد الصريحة والمقاصد الضمنية، نوضحها في الجدول التالي:

القصدية في الخطاب السياسي	
القصد الضمني	القصد الصريح
إن الخطابات تلجأ للتضمنين نظراً لقدرته على التأثير والإقناع، ونجد مظاهره تتجلى في خطاب الرئيس، وذلك في محاولته للتأثير في الجمهور بالواقع المؤلم الذي شهده الشعب الجزائري من خلال المجازر التي ارتكبتها المستعمر والبطولات والتضحيات العظيمة التي قام بها الشعب الجزائري في سبيل تحرير البلد من الخضوع للمستعمر وتحقيق الاستقلال. وفي محاولته لإيصال الشعور بالخطر المحيط بأمن الأحداث التاريخي الواجب صونه من الأعداء الخفيين الذين هم موجودون بيننا ومازالوا يسعون بحقد وراء طمس التاريخ والتشكيك بمصداقيته والتقليل من شأنه.	- يتمثل في إحياء ذكرى مجازر الثامن من ماي 1945م، وما فعله الاستعمار الظالم من مجازر وقتل وجرائم في حق الإنسانية أولاً وفي حق الشعب الجزائري المستضعف إبان الاستعمار، والتذكير بالتضحيات الجبارة للشهداء والمجاهدين والدعوة إلى ضرورة الحفاظ على مثل هذه المحافل لحفظ الذاكرة من تكالب التضييل. - استهجان الحقد الذي كان ولازال متواصلاً والموجه للجزائر وشعبها من قبل أولئك الذين مازالوا ملتوين في أذيال الاستعمار محاولين حجب الحقائق التي سجلها التاريخ والتي ستضل وسمة عار على كل متعد.

ث. متضمنات القول في الخطاب السياسي:

يقول الرئيس " وإلى جانب التكفل الشامل بالمنظومة القانونية، فإن الحكومة تبقى مدعوة إلى الاستمرار في تعزيز مكاسب القطاع المادية والتقنية، وإيلاء الإعلام الجهوي والجواري اهتماما خاصا باعتباره همزة وصل بين الساكنة والإدارة المحلية"²⁰.

يتضمن هذا المقطع عدة احتمالات ومعان، إذ قد نفهم منه أن الحكومة كانت من قبل تقوم بالاهتمام وتعزيز المكاسب المادية والتقنية لقطاع الصحافة، وهو ما يشير إلى مساعي ومبادرات قبلية لدعم وتحسين القطاع، كما يتضمن الخطاب التأكيد بأهمية الإعلام ودوره في تحقيق الوحدة الوطنية بين المواطن والإدارة المحلية.

2.2.3. الحجاج في الخطاب السياسي:

لا يكاد يخلو أي خطاب من عنصر الحجاج، وذلك من خلال ما يتضمنه من عناصر التوكيد والاستدلال والبراهين وما يسعى إليه من تحقيق التأثير والإقناع، الذي يعد شرطاً أساسياً لنصف نص ما على أنه خطاب، ومن أمثلة تجلي الحجاج في الخطاب السياسي نورد استخدامه لعنصر التوكيد بالتمثيل في قول الرئيس (حيث تم تجسيد العديد من الإنجازات، نذكر منها:) وقوله (تم.. تحقيق جملة من الانجازات الملموسة المتمثلة في:)، كما استعمل التعليل في قوله (لدفعه نحو) (من أجل التوصل إلى) (مما يخلق) ... إلخ²¹.

1.3.3. الأدوات الإجرائية في التحليل التداولي للخطاب الديني:

نورد في هذا العنصر نماذج تتجلى في مقاطع من خطابات دينية مختلفة يوجهها الإمام إلى المصلين في عدة مناسبات، وإخضاعها للتحليل التداولي، بغية التعرف على الأدوات الإجرائية المعتمدة في تحليل هذا النوع من الخطابات، اعتماداً على إتباع الطريقة التي سار عليها كل من "رحمونة بوغازي" و"سعيد بن عامر"²² في تحليلهما للخطاب الديني.

أ. الفعل الكلامي في الخطاب الديني:

خطبة "عيد النصر" في التاسع عشر مارس من كل سنة مأخوذة من موقع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف للجمهورية الجزائرية الموجودة على شبكة الأنترنت.

استهل الخطيب في بداية خطبته بالحمدلة ونطق الشهادتين وقوله عز وجل (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين و نمكن لهم في الأرض)²³، فقد مهد الخطيب بهذه الآية للتعريف بمضمون خطابه ألا وهو الجهاد في سبيل الله ونصرة الإسلام والمسلمين ونصرة الأوطان.

وقد اعتمد في هذا على اقتباسات من القرآن الكريم والشعر كحجج لدعم أقواله التي سيتم تحليلها كالاتي:

النداء: استعان الخطيب في هذه الخطبة بأسلوب النداء الذي يعد من آليات التوجيه الحجاجي، ونورد ذلك من خلال الأمثلة التالية:

"يا أيها الأخوة المؤمنون تحتفل الأمة الجزائرية بالتاسع عشر مارس من كل سنة "

"أيها الإخوة المؤمنون جميل أن نحتفل بعيد النصر"

"أيها الإخوة الأكارم : حقيقة النصر تمكن في مدى معرفتنا للنصر، و مدى قيمة المحافظة عليه"

فنجد أن الخطيب قد اعتمد في أسلوب النداء على حرفي "يا و أي" وذلك للفت انتباه المخاطب، وجعله يقبل على ما سيلقيه ويوجهه من الكلام.

الأمر: يتجلى الفعل الإنجازي في أسلوب الأمر كما تراه نظرية الأفعال الكلامية، فالغرض منه دعوة المتلقي إلى إنجاز فعل معين وتوجيهه إلى تجسيد سلوك ما. ومن أمثلة الأمر في الخطبة الدينية نجد:

الآية التي تدعو إلى التقوى وشكر الله على نصره للمسلمين في قوله: (فاتقوا الله لعلكم تشكرون)²⁴ والأمر هنا جاء بحجة من القرآن الكريم والمتمثلة في توجيه المتلقي بضرورة تقوى الله وشكره على نعمة النصر والأمن والأمان، فهو الذي ينصر عباده ويزيل الخوف من قلوبهم لتطمئن.

وتجلى الأمر كذلك في الدعوة إلى الفرح والابتهاج في قوله تعالى: (قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا)²⁵

وحين يخاطب الإمام أولئك المغرضين المعادين لوطنهم الأصلي "اتقوا الله في وطنكم، و عودوا إلى رشدكم ، واتقوا الله في شبابكم و أبنائكم".

النهى: نجده في قوله: "يحمل أن لا يشاهد و يسمع ذبحاً أو تقتيلاً أو.." حينما تحدث عن الحال الذي كان يسود الجزائر والخوف الذي كان يغشى شعبها وحقوقهم الإنسانية التي كانت بمثابة الحلم لهم وكيف أن حالهم تغير من ذلك إلى الترفه في نعم الله العظيمة.

كما أورد النفي في حديثه عن الطموح الذي يسعى لبلوغه كل مواطن مسلم وكل جزائري وجزائرية وهو بناء الجزائر الجديدة قوية العماد، وذلك في قوله: "بناء دولة عصرية متطورة لا تزول بزوال الرجال و الحكومات و لا تؤثر فيها القلاقل و المؤامرات" وقوله "ليس غيرة عن شعبها" لتحديد النوايا المتربصين بالجزائر وشعبها .

النفي: أورد الخطيب النفي في قوله "ندعو شبابنا إلى عدم الطيش والتهور" في دعوته لهم إلى إعمال العقل ، وقد ورد النفي كذلك في قوله "لمتربصين الذين لم يهدأ لهم بال" بغرض التحذير، كما أورد النفي في الحديث القدسي في قوله "عبدني لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت لك النعمة على يديه".

وعليه نخلص أن الأساليب الإنشائية التي استخدمها الخطيب والتي تؤدي أفعالا وتدعو إلى إنجازها ما هي إلا حجج استعمل فيها الخطيب اللغة الإقناعية من خلال الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وذلك للتأثير في المتلقي وإقناعه.

ب. الآليات البلاغية:

وتتجلى في المحسنات البديعية والصور البيانية وغيرها:

الطباق: استخدم الخطيب طباق السلب في قوله "كن لنا و لا تكن علينا" "الطيش والعقلانية" "المؤمن الكافر" "الصالح الفساد" وغيرها من الألفاظ المتضادة التي يسعى من ورائها الخطيب للتأثير في المتلقي.

السجع: استهل الخطيب خطبته بتوظيف السجع في قوله "الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وناصر المستضعفين" وفي قوله "اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا و أصلح الفاسد من أمرنا، وكن لنا و لا تكن علينا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا" بغية التأثير على سمع المتلقي وجذب انتباهه لما سيقال.

الجناس: أورد المخاطب لفظ "المال" مرتين من خلال البيتين الشعريين الذي استشهد بهما في خطبته، وهو جناس تام، وذلك في قوله: وما أجمل قول من قال:

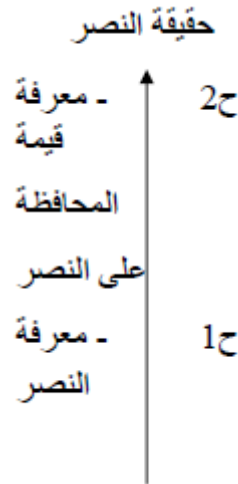
وما نبالي إذا أرواحنا سلمت *** بما فقدناه من مال ومن نسب

فالمال مكتسب و العز مرتجع *** إذا النفوس وقاها الله من العطب

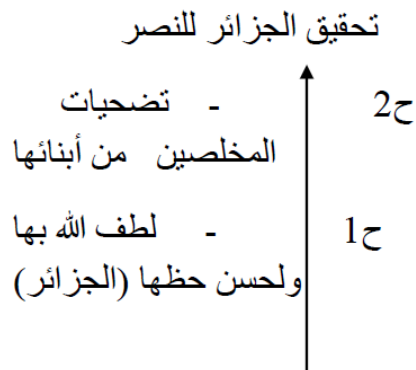
واستعان بالجناس الناقص في قوله "سخاء رخاء"، كما تكرر استخدامه للفظ "نسينا" في عدة مقاطع من خطبته وذلك لغرض التوكيد والتحسيس بعظمة الموضوع ومن جهة أخرى كان الغرض من تكرارها هو التذكير بكل ما تم نسيانه من جرائم ارتكبت في حق الشعب الجزائري، والتضحيات العظمى التي سجلها التاريخ والتي وجب حفظها في ذاكرة كل مواطن جزائري مسلم.

ت. الآليات شبه المنطقية:

وظف الخطيب السلم الحجاجي وهو العلاقة المنطقية بين الدعوة والحجة والاستلزام الذي ينتج الأولى بالثانية، ويتجلى ذلك في المثال التالي:



أراد المخاطب توظيف العديد من الحجج، فرتبها في سلم حجاجي، فقد اشترط تحقيق النصر بحجة أولى وهي معرفة المعنى الحقيقي للنصر وكيفية تحقيقه، ودعم حجته بأخرى أقوى درجة من الأولى وهي معرفة قيمة المحافظة على النصر وما يترتب عليه من فوائد تعود على المجتمع والوطن.



وعليه نجد أن المخاطب وظف الكثير من الحجج لتدعيم كلامه، فالنصر كان أولاً من عند الله عز وجل، ثم بفضل التضحيات العظيمة التي قدمها الشعب آنذاك في سبيل تحقيق هذا النصر.

ف نجد أن للسلم الحجاج الدور البارز في تحقيق عنصري التأثير والإقناع من خلال ترتيب الحجج بحسب قوتها ترتيباً منطقياً يتقبله العقل.

الروابط الحجاجية: وهي تلك الروابط التي تجمع بين الحجة والأخرى بغية الوصول إلى نتيجة قابلة للتبني الفكري، وتعمل هذه الروابط على انسجام الكلام واتساقه، وهي: أحرف الجر، وأحرف العطف، وأدوات التوكيد وغيرها من الروابط. ومن بين الروابط الحجاجية التي أوردها المخاطب نذكر:

حتى: وهي من حروف العطف التي تفيد الغاية مما سبقها من الكلام، وذلك في قوله: "حتى تكون صمام أمان ضد نكران تاريخ وطننا و أمتنا" وتفيد بيان النتيجة التي يؤدي إليها وهو ما نجده في قول المخاطب "حتى استبيحت الأموال والأعراض" كنتيجة التفرقة والتشتت الذي كان بين أوساط الشعب الجزائري.

أن ولكن: وهي من أدوات التوكيد الواردة في قوله: "نسينا أننا تنكرنا لبعضنا البعض" وقوله "لكن هذا الفرع يجب أن يترجم إلى الواقع العملي" فاستدكار الأحداث والأفعال التي أدت إلى تلك الجرائم واجب على كل مواطن يسعى نحو دوام النصر وتحقيقه، وما يستلزمه من ثمار وجب انعكاسها على الواقع الراهن بالجد والاجتهاد والعمل الإصلاحي، لبناء دولة جديدة متطورة قوامها الأمن والأمان.

الواو: وتستعمل لترتيب الحجاج وجمعها مع بعضها البعض لمنحها القوة الإقناعية اللازمة، لتحقيق الهدف المراد. ومثال ذلك قول المخاطب: "وحركات سياسية واجتماعية تدعونا إلى اليقظة والحكمة والتبصر".

4. خاتمة:

وفي الأخير نوجز ما سبق بقولنا أن الخطاب الديني في هذا المثال يركز في تحليله على الأفعال الكلامية ويتعرض فيها المحلل إلى الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، كما يتطرق إلى الآليات الحجاجية، بينما نجد المحلل في الخطاب السياسي يركز هو الآخر على الأفعال الكلامية كما ركز فيه على السياق والمقام والقصد إضافة للتطرق إلى متضمنات القول والحجاج، أما تحليل الخطاب الديني فنجد أنه لا يخلو هو الآخر من التطرق للفعل الكلامي باعتباره أهم إجراء تداولي وأهم ما يركز عليه المنهج التداولي، وقد تعرض فيه المحلل للأساليب الإنشائية الطلبية كالنداء والأمر والنهي والنفي، كما تطرق إلى الآليات البلاغية، وتتجلى في المحسنات البديعية والصور البيانية وغيرهما، وتطرق للآليات شعب المنطقية وذلك من خلال تحديده للسلم الحجاجي وأخيرا تحليله للروابط الحجاجية. فنجد أن الآليات الإجرائية للتداولي التي يعتمد عليها المحللون تختلف في معظمها وتتشترك في بعضها، فمنهم من يقف على عدة أدوات ومنهم من يتخذ من آلية واحدة نموذجا للدراسة، وهو ما فعله "سعيد بن عامر" و"خديجة بوعازي" في المثال السابق وذلك باتخاذها لآلية الحجاج كنموذج للدراسة، ولعل هذا الانتقاء سببه اختلاف الخطابات وطرق التعبير فيها انطلاقا من الغرض الذي تسعى لتأديته، فمنها من يغلب فيه التأثير، ومنها ما يغلب فيه الحجاج والإقناع، ومنها ما يدعو للتغيير، وكلها تشترك في الإنجاز، وهما ما تبحث فيه التداولية وما تحاول رصده ودراسته، وعليه نستنتج أن المرتكزات المعرفية للتحليل التداولي للخطاب، والقائمة على علاقة التبادل والانتفاع من المعارف المتنوعة الأخرى، أتاح لها التنوع في إجراءاتها التحليلية، لكن دون الوقوف على معطيات ثابتة تقيد هذا المنهج وتحدد هويته التحليلية، وهو ما يفسر اختلاف طرق التحليل من خطاب إلى آخر، استنادا على ما يؤديه الخطاب من أغراض وما يحاول المحلل استنطاقه من جهة أخرى، وما نوصي به في الأخير هو ضرورة العمل على توحيد هذه الأدوات أو على الأقل تصنيفها بغية الحصول على نتائج مضبوطة ومنظمة، واستجماع هذه التحليلات واستنباط النتائج في قالب موحد متكامل يخص ذلك النوع من التصنيف، وضرورة تحديد الأسباب والعوامل المتحركة في الانتقاء، ومنه توضيح المنهج الذي يسير عليه اشتغال هذه الأدوات.

5. الهوامش:

- ¹ مقبول إدريس، البعد التداولي عند سبويه، عالم الفكر، مج:33، ع:01، سبتمبر 2004، ص245.
- ² ينظر: فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: حسن بحيري، ط01، دار القاهرة للكتاب، مصر، 1421هـ، 2001م، ص114.
- ³ حمداوي جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ط01، الأوكية، 2015م، ص09.
- ⁴ نقلا عن: خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ط02، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006م، ص176.
- ⁵ محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة العربية وآدابها، ع:1، 1994م، ص39.
- ⁶ ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، في التراث العربي، ط01، بيروت، لبنان، 2005م، ص44.
- ⁷ أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، ط1، مصر، 2002م، ص12.
- ⁸ شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، دار مسيكلاني، دط، تونس، 2008م، ص15.
- ⁹ شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، المرجع نفسه، ص17.
- ¹⁰ صحراوي مسعود، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مرجع سابق، ص200-201.
- ¹¹ كورنيليا فون راد صكوح، الحجاج في المقام المدرسي، ملاحظات حول تعليم الحجاج في المرحلة الثانية في التعليم الأساسي، إشراف فريق البحث في البلاغة والحجاج برئاسة حمادي صمود، كلية الآداب بمنوبة، 2004م، ص13.
- ¹² محمد حسن إسماعيل الحسن، المنهج التداولي في قراءة النصوص الأدبية، شعر إبراهيم طوقان أنموذجا، حولية كلية حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا، مج:15 ع:05، 2011م، ص209-222.
- ¹³ ديوان الإمام الشافعي، قصيدة هم الأصدقاء، البيت 04، ص94.
- ¹⁴ J .R. Searle. sens et expression ,p 72
- ¹⁵ عماد الدين خليل، الإعصار والمثدنة: رواية إسلامية معاصرة، مؤسسة الرسالة، ط01، بيروت، 1985م، ص33.
- ¹⁶ طوقان إبراهيم، الديوان من قصيدة الثلاثاء الحمراء، ص282-283.
- ¹⁷ راضية خفيف بوبكري، آليات التحليل التداولي للخطاب: قضايا نظرية ونماذج تطبيقية، مجلة التواصل في اللغات والآداب، المجلد 24، ع:04، ديسمبر 2018، ص110-129.
- ¹⁸ عبد المجيد تبون، خطابات ورسائل، 18ماي، 2022، ص01.
- ¹⁹ عبد المجيد تبون، خطابات ورسائل، 19 أوت، 2022، ص01.
- ²⁰ عبد المجيد تبون، خطابات ورسائل، 21 أكتوبر، 2022، ص01.
- ²¹ عبد المجيد تبون، خطابات ورسائل، 29مارس، 2021م، ص01-07.
- ²² رحومنة بوغازي، سعيد بن عامر، البعد التداولي في الخطاب الديني دراسة في ضوء النظرية الحجاجية، مجلة الآداب واللغات، المجلد 22، ع:01، 2022م، ص: 286 - 277.
- ²³ سورة القصص، الآية 5-6.

²⁴ سورة آل عمران، الآية 123.

²⁵ سورة يونس، الآية 58.

6. قائمة المراجع:

1. القرآن الكريم
2. ديوان الإمام الشافعي، قصيدة هم الأصدقاء.
3. طوقان إبراهيم، الديوان من قصيدة الثلاثاء الحمراء.
4. فان دايك، علم النص، تر: حسن بحيري، ط01، (دار القاهرة للكتاب، مصر، 1421هـ، 2001م)
5. حمدوي جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ط01، (الأوكية، 2015م)
6. نقلا عن: خولة طالب الابراهيم، مبادئ في اللسانيات، ط02، (دار القصة للنشر، الجزائر، 2006م)
7. محمد أديوان، نظرية المقاصد بين حازم القرطاجني، ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، مجلة الوصل، معهد اللغة العربية وآدابها، ع:1، 1994م .
8. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، في التراث العربي، ط01، (بيروت، لبنان، 2005م).
9. أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، (مصر، دار المعرفة الجامعية، 2002م).
10. شكري المبخوت، نظرية الأعمال اللغوية، دط، (تونس، دار مسيكلياني، 2008م).
11. عماد الدين خليل، الإعصار والمثدنة: رواية إسلامية معاصرة، ط01، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1985م).
12. J.R. Searle. sens et expression
13. كورنيليا فون راد صكوشي، الحجاج في المقام المدرسي، ملاحظات حول تعليم الحجاج في المرحلة الثانية في التعليم الأساسي، إشراف فريق البحث في البلاغة والحجاج برئاسة حمادي صمود (كلية الآداب بمنوبة، 2004م).
14. مقبول إدريس، البعد التداولي عند سبويه، عالم الفكر، مج:33 ع:01، سبتمبر 2004م.
15. محمد حسن إسماعيل الحسن، المنهج التداولي في قراءة النصوص الأدبية، شعر إبراهيم طوقان أنموذجا، حولية كلية حولية كلية اللغة العربية بنين بجرجا ، مج:15 ع: 05، 2011م.
16. راضية خفيف بوبكري، آليات التحليل التداولي للخطاب: قضايا نظرية ونماذج تطبيقية، مجلة التواصل في اللغات والآداب، مج: 24، ع: 04، ديسمبر 2018م.
17. رحومة بوغازي، سعيد بن عامر، البعد التداولي في الخطاب الديني دراسة في ضوء النظرية الحجاجية، مجلة الآداب واللغات، مج: 22، ع: 01، 2022م.